تلخيص كتاب

فتح القوي المتين

في شرح الأربعين وتتمَّة الخمسين

للنووي وابن رجب رحمهما الله

للعلامة

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

إعداد

علي أحمد عبدربه العولقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلاة تبقى وسلاماً يترى إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه الورقات التي بين أيديكم تلخيص لكتاب شيخنا الفاضل/ عبدالمحسن العباد حفظه الله ورعاه، أسأل الله أن ينفع بها، ومن وجد فيه خطأً أو إضافة مهمة فليتواصل معي، وجزاكم الله خيراً. (aliaas2014@gmail.com).

الحديث الأول

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﵁ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى، فمَن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)).

رواه إمامَا المحدِّثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصحُّ الكتب المصنَّفة.

١ ـ كان السلف يستحبُّون افتتاح الكتب بهذا الحديث؛ تنبيهاً للطالب على تصحيح النيَّة وإرادته وجه الله تعالى بجميع أعماله البارزة والخفيَّة.

وهو إحدى قواعد الإيمان وأول دعائمه وآكد الأركان، قال الشافعي رحمه الله: يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من الفقه، وقال أيضاً: هو ثلث العلم، وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

٢ ـ **قوله: ((إنَّما الأعمال بالنيَّات))** أي: أنَّ الأعمال معتبرة بنيَّاتها، والنيَّة في اللغة: القصد، وتأتي للتمييز بين العبادات، كتمييز فرض عن فرض، أو فرض عن نفل، وتمييز العبادات عن العادات، كالغسل من الجنابة (عبادة) والغسل للتبرُّد والتنظُّف (عادة).

والنيَّة محلُّها القلب، والتلفُّظ بها بدعة، فلا يجوز التلفُّظ بالنيَّة في أيِّ قُربة من القُرَب، إلاَّ في الحجِّ والعمرة.

٣ ـ **قوله: ((وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى))** أي: لا يحصل له من عمله إلاَّ ما نواه، فإن نوى خيراً حصل له

خيرٌ، وإن نوى شرًّا حصل له شرٌّ.

٤ ـ **وقوله: ((فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله...))** أي: من كانت هجرته إلى الله ورسوله نيَّة وقصداً، فهجرته إلى الله ورسوله ثواباً وأجراً،

ومَن كانت هجرتُه من دار الشرك إلى دار الإسلام لطلب دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها في دار الإسلام، فهجرته إلى ما هاجر إليه من ذلك، فالأوَّل تاجرٌ، والثاني خاطب، وليس واحد منهما بمهاجر.

والهجرة من الهَجر وهو الترك، وتكون بترك بلد الخوف إلى بلد الأمن، كالهجرة من مكة إلى الحبشة، وتكون من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، كالهجرة من مكة إلى المدينة، وقد انتهت الهجرة إليها بفتح مكة، والهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام باقية إلى قيام الساعة.

ـ مِمَّا يُستفاد من الحديث:

١ ـ أنَّه لا عمل إلاَّ بنيَّة.

٢ ـ أنَّ ثواب العامل على عمله على حسب نيَّته.

٣ ـ أنَّ الإنسانَ يُؤجرُ أو يؤزر أو يُحرم بحسب نيَّته.

الحديث الثاني

عن عمر ﷺ أيضاً قال: ((بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طَلَعَ علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر ولا يعرفه منَّا أحدٌ، حتى جلس إلى النَّبيِّ ﷺ، فأسنَد ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفَّيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ : الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلاً، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدِّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمنَ بالله وملائكته وكُتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقتَ، فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإن لَم تكن تراه فإنَّه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما

المسئول عنها بأعلمَ من السائل، قال: فأخبرني عن أمَاراتِها؟ قال: أن تلدَ الأَمَةُ ربَّتَها، وأن ترى الحُفاةَ العُراة العالة رِعاء الشاءِ يتطاولون في البُنيان، ثمَّ انطلق فلبث مليًّا ثم قال: يا عمر أتدري مَن السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّه جبريل أتاكم يعلِّمُكم دينَكم)) رواه مسلم.

١ـ أجاب النَّبيُّ ﷺ جبريل عندما سأله عن الإسلام بالأمور الظاهرة، وعندما سأله عن الإيمان، أجابه بالأمور الباطنة، ولفظَا الإسلام والإيمان من الألفاظ التي إذا جُمع بينها في الذِّكر فُرِّق بينها في المعنى، وقد اجتمعا هنا، وإذا أُفرد أحدُهما عن الآخر شمل المعنيين جميعاً: الأمور الظاهرة والباطنة.

٢ـ **وشهادة أن لا إله إلاَّ الله معناها** لا معبود حقٌّ إلاَّ الله، وهي تشتمل على ركنين: نفي عام وإثبات، ففي أوَّلها نفي العبادة عن كلِّ من سوى الله، وفي آخرها إثبات العبادة لله وحده لا شريك له.

٣ـ **ومعنى شهادة أنَّ محمداً رسول الله:** (طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعْبد الله إلا بما شرع).

٤ـ **الإيمان بالله** يشمل الإيمان بوجوده وربوبيَّته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته، وأنَّه سبحانه وتعالى متَّصفٌ بكلِّ كمال يليق به، منَزَّهٌ عن كلِّ نقص، فيجب توحيده بربوبيَّته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته.

ـ وتوحيده بربوبيَّته الإقرارُ بأنَّه واحد في أفعاله، لا شريك له فيها، كالخَلق والرَّزق، وغير ذلك مِمَّا يتعلَّق بربوبيَّته.

ـ وتوحيد الألوهيَّة توحيده بأفعال العباد، كالدعاء والخوف والرَّجاء والتوكُّل والذَّبح والنَّذر وغيرها، فلا يُصرف منها شيء لغيره، ولو كان ملَكاً مقرَّباً أو نبيًّا مرسَلاً، فضلاً عمَّن سواهما.

ـ وأمَّا توحيد الأسماء والصفات، فهو إثبات كلِّ ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على وجه يليق بكماله وجلاله، دون تكييف أو تمثيل، ودون تحريف أو تأويل أو تعطيل، وتنزيهه عن كلِّ ما لا يليق به.

٥ـ **والإيمان بالملائكة** الإيمانُ بأنَّهم خَلقٌ من خلق الله، خُلقوا من نور، وهم ذوو أجنحة، وجبريل له ستمائة جناح، ومنهم الموَكَّلون بالوحي، والموكَّلون بالقطر، والموكَّلون بالموت، والموكَّلون بغير ذلك، وكلُّهم

مستسلمون منقادون لأمر الله، وقد سُمِّي منهم في الكتاب والسنة جبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ومنكر ونكير، والواجب الإيمان بمَن سُمِّي منهم ومَن لَم يسمَّ، والواجب أيضاً الإيمان والتصديق بكلِّ ما جاء في الكتاب العزيز وصحَّت به السنَّة من أخبار عن الملائكة.

٦- **والإيمانُ بالكتب** التصديق والإقرار بكلِّ كتاب أنزله الله على رسول من رسله، واعتقاد أنَّها حقٌّ، وأنَّها منَزَّلة غير مخلوقة، وأنَّها مشتملة على ما فيه سعادة من أُنزلت إليهم، وأنَّ مَن أخذ بها سلم وظفر، ومن أعرض عنها خاب وخسر، ومن هذه الكتب ما سُمِّي في القرآن، ومنها ما لم يُسمَّ، والذي سُمِّي منها في القرآن التوراة والإنجيل والزبور وصُحف إبراهيم وموسى.

٧- **والإيمانُ بالرُّسل** التصديق والإقرارُ بأنَّ الله اصطفى من البشر رسُلاً وأنبياء يهدون الناسَ إلى الحقِّ، ويُخرجونهم من الظلمات إلى النور، وقد قام الرسل والأنبياء بتبليغ ما أُمروا بتبليغه على التمام والكمال ومنهم من قُصَّ في القرآن (٢٥)، ومنهم من لم يُقصص.

٨- **والإيمانُ باليوم الآخر** التصديقُ والإقرار بكلِّ ما جاء في الكتاب والسنَّة عن كلِّ ما يكون بعد الموت، من القبر وفتنته وما فيه من النعيم والعذاب، والبعث والحشر والشفاعة والحوض والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغيره.

٩- **والإيمان بالقدر** الإيمانُ بأنَّ الله قدَّر كلَّ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، وله مراتب أربعة:

- علم الله أزلاً بكلِّ ما هو كائن.

- وكتابته المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

- ومشيئته كلّ مقدَّر.

- وخلق الله وإيجاده لكلِّ ما قدَّره طبقاً لِمَا علمه وكتبه وشاءه.

١٠- **قوله: ((فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك))،** الإحسان أعلى الدرجات، وكلُّ مؤمن مسلم، وكلُّ محسن مؤمن مسلم، وليس كلُّ مسلم مؤمناً محسناً، والمعنى:

تعبدَه كأنَّك واقفٌ بين يديه تراه، ومن لَم يكن على هذه الحال فعليه أن يستشعر أنَّ الله مطَّلعٌ عليه لا يخفى منه خافية، فيحذرَ أن يراه حيث نهاه، ويعمل على أن يراه حيث أمرَه.

١١ـ **قوله: ((قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل))**، اختصَّ الله بعلم الساعة، فلا يعلم متى تقوم الساعة إلاَّ الله سبحانه وتعالى، فقال: (إن الله عنده علم الساعة).

وجاء في السنَّة أنَّها تقوم يوم الجمعة، أمَّا من أيِّ سنة؟ وفي أيِّ شهر من السنة؟ وفي أيِّ جمعة من الشهر؟ فلا يعلم ذلك إلاَّ الله.

١٢ـ **قوله: ((قال: فأخبرني عن أمَاراتِها؟ قال: أن تلدَ الأَمَةُ ربَّتَها، وأن ترى الحُفاةَ العُراة العالة رِعاء الشاءِ يتطاولون في البُنيان))**، أماراتها: علاماتها، وعلامات الساعة تنقسم إلى قسمين:

ـ علامات قريبة من قيامها، كخروج الشمس من مغربها، وخروج الدجَّال، وخروج يأجوج ومأجوج، وغيرها،

ـ وعلامات قبل ذلك، ومنها العلامتان المذكورتان في هذا الحديث.

ومعنى قوله: ((أن تلد الأَمَة ربَّتها)) فُسِّر بأنَّه:

ـ إشارة إلى كثرة الفتوحات وكثرة السبي، وأن من المسْبيات مَن يطؤها سيِّدُها فتلد له، فتكون أمَّ ولد، ويكون ولدها بمنزلة سيِّدها.

ـ وفُسِّر بتغير الأحوال وحصول العقوق من الأولاد لآبائهم وأمَّهاتهم وتسلُّطهم عليهم، حتى يكون الأولاد كأنَّهم سادة لآبائهم وأمَّهاتهم.

ومعنى قوله: ((وأن ترى الحُفاةَ العُراة العالة رِعاء الشاءِ يتطاولون في البُنيان)) أنَّ الفقراء الذين يرعون الغنم ولا يجدون ما يَكتسون به تتغيَّر أحوالهم وينتقلون إلى سكنى المدن ويتطاولون فيها بالبنيان، وهاتان العلامتان قد وقعتَا.

الحديث الثالث

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجِّ البيت، وصوم رمضان)) رواه البخاري ومسلم.

١ـ **قوله: ((بُني الإسلام على خمس)):** فكما أنَّ البنيان لا يقوم إلاَّ على أعمدته، فكذلك الإسلام إنَّما يقوم على هذه الخمس.

وهذه الأركان الخمسة التي بُني عليها الإسلام، أولها الشهادتان، وهما أسُّ الأسُس، وبقية الأركان وغيرها تابع لها، فلا تنفع هذه الأركان وغيرها من الأعمال إذا لم تكن مبنيَّةً على هاتين الشهادتين، فلا بدَّ من تجريد الإخلاص لله وحده، ولا بدَّ من تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

٢ـ **وإقامة الصلاة** تكون على حالتين:

ـ إحداهما واجبة، وهو أداؤها على أقلِّ ما يحصل به فعل الواجب وتبرأ به الذِّمَّة.

ـ ومستحبَّة، وهو تكميلها وتتميمها بالإتيان بكلِّ ما هو مستحبٌّ فيها.

وقد وصفها رسول الله ﷺ بأنَّها عمودُ الإسلام، وآخر ما يُفقد من الدِّين، وأوَّل ما يُحاسَب عليه العبد يوم القيامة، وأنَّ بها التمييز بين المسلم والكافر.

٣ـ **والزكاة** عبادةٌ مالية نفعها متعدٍّ، وقد أوجبها الله في أموال الأغنياء على وجه ينفع الفقير ولا يضرُّ الغنيَّ؛ لأنَّها شيء يسير من مال كثير.

٤ـ **صومُ رمضان** عبادة بدنية، وهي سرٌّ بين العبد وبين ربِّه، لا يطَّلع عليه إلاَّ الله سبحانه وتعالى.

٥ـ **حجُّ بيت الله الحرام** عبادة ماليَّة بدنية، وقد أوجبها الله في العمر مرَّة واحدة.

الحديث الرابع

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي اله تعالى عنه قال: حدَّثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق: ((إنَّ أحدَكم يُجمع خلقُه في بطن أمِّه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملَك فينفخ فيه الروح، ويُؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره، إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنَّة، حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدَكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)) رواه البخاري ومسلم.

١ـ قوله: ((يُجمع خلقه في بطن أمِّه))، قيل: يُجمع ماء الرجل مع ماء المرأة في الرَّحم، فيُخلق منهما الإنسان.

٢ـ في هذا الحديث ذكر أطوار خلق الإنسان، وهي: أوَّلاً: النطفة، وهي الماء القليل، وثانياً: العلقة، وهي دم غليظ متجمِّد، وثالثاً: المضغة، وهي القطعة من اللحم على قدر ما يمضغه الآكل، ثم تُنفخ فيه الروح، فيكون إنساناً حيًّا، وقبل ذلك هو ميت، وإذا وُلد بعد نفخ الروح فيه ميتاً تجري عليه أحكام الولادة، من تغسيله والصلاة عليه والخروج من العدة وكون الأمَة أم ولد، وكون أمِّه نفساء، وإذا سقط قبل ذلك فلا تجري عليه هذه الأحكام.

٣ـ أنَّ الإنسانَ يجب أن يكون على خوف ورجاء؛ لأنَّ من الناس مَن يعمل الخير في حياته ثم يختم له بخاتمة السوء، وأنَّه لا ينبغي له أن يقطع الرجاء؛ فإنَّ الإنسان قد يعمل بالمعاصي طويلاً، ثم يَمنُّ اللهُ عليه بالهدى فيهتدي في آخر عمره.

٤ـ أنَّ الأعمال بالخواتيم.

الحديث الخامس

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ)) رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: ((مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ)).

١- هذا الحديث أصل في وزن الأعمال الظاهرة، وأنَّه لا يُعتدُّ بها إلاَّ إذا كانت موافقة للشرع، كما أنَّ حديث ((إنَّما الأعمال بالنيات)) أصلٌ في الأعمال الباطنة، وأنَّ كلّ عملٍ يتقرّب فيه إلى الله لا بدَّ أن يكون خالصاً لله، وأن يكون معتبراً بنيّته.

٢- (العبادة الصحيحة لها ركنان: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ، فإذا اختل الشرط الأول فصاحب العبادة مشرك، وإذا اختل الشرط الثاني فصاحب العبادة مبتدع، وكلا العملين مردودان).

٣- ويدلُّ الحديثُ على أنَّ من ابتدع بدعة ليس لها أصل في الشرع فهي مردودة، وصاحبها مستحق للوعيد، فقد قال النَّبيُّ ﷺ في المدينة: ((من أحدث فيها حدَثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)).

٤- معنى قوله في الحديث: ((ردّ)) أي مردودٌ عليه.

٥- أنَّ العمل الصالح إذا أُتي به على غير الوجه المشروع، كالتنفل في وقت النهي بغير سبب، وصيام يوم العيد، ونحو ذلك، فإنَّه باطل لا يُعتدُّ به.

الحديث السادس

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إنَّ الحلالَ بيِّن، وإنَّ الحرامَ بيِّن، وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمَن اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحِمَى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإنَّ لكلِّ ملِك حِمى، ألا وإنَّ حِمى الله محارمه، ألا وإنَّ في الجسد مُضغة، إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب)) رواه البخاري ومسلم.

١ ـ قوله: ((إنَّ الحلالَ بيِّن، وإنَّ الحرامَ بيِّن...))، فيه تقسيم الأشياء إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الحلالُ البيِّن، كالحبوب وبهيمة الأنعام، إذا لم تصل إلى الإنسان بطريق الحرام.

الثاني: الحرامُ البيِّن، كشرب الخمر وأكل الميتة، وهذان يعلمهما الخاصُ والعام.

الثالث: المشتبهات المتردِّدة بين الحلِّ والحرمة، فليست من الحلال البيِّن ولا من الحرام البيِّن، وهذه لا يعلمها كثير من الناس، ويعلمها بعضُهم.

٢ ـ قوله: ((فمَن اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومَن وقع في الشبهات وقع في الحرام...))، هذا يرجع إلى القسم الثالث، وهو المشتبهات، فيتجنَّبها الإنسانُ، وفي ذلك السلامة لدينه فيما بينه وبين الله، والسلامة لعرضه فيما بينه وبين الناس، فلا يكون لهم سبيل إلى النَّيل من عرضه بسبب ذلك، وإذا تساهل في الوقوع في المشتبهات قد يجرُّه ذلك إلى الوقوع في المحرَّمات الواضحات، وقد ضرب النَّبيُّ ﷺ لذلك المثل بالراعي يرعى حول الحِمى، فإنَّه إذا كان بعيداً من الحمى سَلِمَ من وقوع ماشيته في الحمى، وإذا كان قريباً منه أوشك أن تقع ماشيته فيه وهو لا يشعر.

والمراد بالحمى ما يحميه الملوك وغيرُهم من الأراضي المخصبة، ويَمنعون غيرَهم من قربها، فالذي يرعى حولها يوشك أن يقع فيها، فيعرض نفسه للعقوبة، وحِمى الله عزَّ وجلَّ المحارم التي حرَّمها، فيجب على المرء الابتعاد عنها، وعليه أن يبتعد عن المشتبهات التي قد تؤدِّي إليها.

٣ ـ قوله: ((ألاَ وإنَّ في الجسد مُضغة، إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب))، المضغة: القطعة من اللحم على قدر ما يمضغه الآكل، وفي هذا بيان عظم شأن القلب، وأنَّه ملك الأعضاء، وأنَّها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده.

الحديث السابع

عن أبي رقية تَميم بن أوس الداري ﷺ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((الدِّينُ النصيحة، قلنا: لِمَن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم)) رواه مسلم.

١ـ النصيحة كلمةٌ جامعةٌ تتضمَّن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفعلاً.

٢ـ **فالنصيحة لله تبارك وتعالى:** توحيدُه ووصفه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عمَّا يُضادُّها ويخالفها، وتجنُّب معاصيه، والقيام بطاعاته والحبِّ فيه والبغض فيه...

ـ **والنصيحة لكتابه:** الإيمانُ به وتعظيمه وتنزيهه، وتلاوته حقَّ تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه ...

ـ **والنصيحة لرسوله ﷺ:** الإيمانُ به وبما جاء به، وتوقيره وتبجيله، والتمسُّك بطاعته، وإحياء سنَّته، والتخلُّق بأخلاقه، والتأدُّب بآدابه، ومحبةُ آله وصحابته ونحو ذلك.

ـ **والنصيحة لأئمة المسلمين:** معاونتُهم على الحقِّ وطاعتُهم فيه، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، ومجانبة الخروج عليهم، والدعاءُ لهم بالتوفيق...

ـ **والنصيحة لعامة المسلمين:** إرشادُهم إلى مصالحهم، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، وسدُّ خلاتهم، ونصرتهم على أعدائهم، والذَّبُّ عنهم...

الحديث الثامن

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنَّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: ((أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، ويُقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقِّ الإسلام، وحسابُهم على الله تعالى)) رواه البخاري ومسلم.

١ـ في الحديث الأمر بالمقاتلة إلى حصول الشهادتين والصلاة والزكاة.

٢ـ **قوله: ((وحسابهم على الله))** أي: أنَّ مَن أظهر الإسلامَ وأتى بالشهادتين فإنَّه يُعصم ماله ودمه، فإن

كان صادقاً ظاهراً وباطناً نفعه ذلك عند الله، وإن كان الباطن خلاف الظاهر وكان أظهر ذلك نفاقاً، فهو من أهل الدَّرك الأسفل من النار.

٣ـ يُستثنى من عموم مقاتلة الناس حتى الإتيان بما ذكِر في الحديث: أهل الكتاب إذا دفعوا الجزية لدلالة القرآن، وغيرهم إذا دفعها لدلالة السنَّة على ذلك.

٤ـ في الحديث بيان عظم شأن الصلاة والزكاة، والصلاة حق البدن، والزكاة حقٌّ المال.

الحديث التاسع

عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((ما نهيتُكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم؛ فإنَّما أهلك مَن كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم)) رواه البخاري ومسلم.

١ـ **قوله: ((ما نهيتُكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم))** قيَّد الأمر بالاستطاعة لأنَّه تكليف بفعل، فقد يستطاع ذلك الفعل، وقد لا يُستطاع،

ـ ولم يُقيَّد النهيَ لأنَّه من باب التروك، وهي مستطاعة، فالإنسانُ مستطيعٌ ألاَّ يفعل.

فمثلاً لَمَّا نهي عن شرب الخمر، والمنهي مستطيع عدم شربها، والصلاة مأمور بها، وهو يصليها على حسب استطاعته من قيام وإلاَّ فعن جلوس، وإلاَّ فهو مضطجع.

٢ـ ترك المنهيات باق على عمومه، ولا يُستثنى منه إلاَّ ما تدعو الضرورة إليه، كأكل الميتة لحفظ النفس.

٣ ـ **قوله: ((فإنَّما أهلك مَن كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم))** المنهيُّ عنه في الحديث ما كان من المسائل في زمنه يترتَّب عليه تحريم شيء على الناس بسبب مسألته، وما يترتَّب عليه إيجاب شيء فيه مشقَّة كبيرة وقد لا يُستطاع، كالحجِّ كلَّ عام، والمنهيُّ عنه بعد زمنه ما كان فيه تكلُّف وتنطُّع واشتغال به عمَّا هو أهم منه.

الحديث العاشر

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنَّ الله تعالى طيِّب لا يقبل إلاَّ طيِّباً، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسَلين، فقال: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً)، وقال تعالى: (يا أيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)، ثم ذكر الرَّجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يَمدُّ يديه إلى السماء: يا ربِّ! يا ربِّ! ومطعمُه حرام، ومشربُه حرام، وملبسُه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يُستجاب له)) رواه مسلم.

١ ـ **قوله: ((إنَّ الله تعالى طيِّب لا يقبل إلاَّ طيِّباً))** يدلُّ على أنَّ من أسماء الله الطيِّب، ويقبل من الأعمال ما كان موصوفاً بالطِّيب، وهو عام في جميع الأعمال، ومنها الكسب، فلا يعمل المرء إلاَّ صالحاً، ولا يكتسب إلاَّ طيِّباً، ولا ينفق إلاَّ من الطيِّب.

٢ـ **قوله: ((ثم ذكر الرَّجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يَمدُّ يديه إلى السماء: يا ربِّ! يا ربِّ! ومطعمُه حرام...فأنَّى يُستجاب له))**، في الحديث أنَّ من أسباب عدم قبول الدعاء أكل الحرام، وإن أتى بأسباب قبول الدعاء، وهي في هذا الحديث أربعة: السفر مع إطالته، وكونه أشعث أغبر، وكونه يَمدُّ يديه بالدعاء، وكونه ينادي الله بربوبيَّته، مع إلحاحه على ربِّه بتكرار ذلك.

٣ـ **ومعنى قوله: ((فأنَّى يُستجاب لذلك))** استبعاد حصول الإجابة لوجود الأسباب المانعة من قبول الدعاء.

الحديث الحادي عشر

عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله ﷺ وريحانته رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: ((دَع ما يريبُك إلى ما لا يريبك)) رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: ((حديث حسن صحيح)).

١ـ هذا الحديث فيه الأمرُ بترك ما يرتاب المرءُ فيه ولا تطمئنّ إليه نفسه، ويحدث قلقاً واضطراباً في النفس، وأن يصير إلى ما يرتاح إليه قلبُه وتطمئنّ إليه نفسه.

وهذا الحديث شبيه بما تقدَّم في حديث النعمان بن بشير: ((فمن اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام))، وهما يدلاَّن على أنَّ المتَّقي ينبغي له ألاَّ يأكل المال الذي فيه شبهة، كما يحرم عليه أكل الحرام.

الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:((مِن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) حديث حسن، رواه الترمذي وغيره هكذا.

١ـ معنى هذا الحديث أنَّ المسلمَ يترك ما لا يهمُّه من أمر الدِّين والدنيا في الأقوال والأفعال، ومفهومه أنَّه يجتهد فيما يعنيه في ذلك.

٢ـ إذا حَسُن إسلامُ المرء ترك ما لا يعنيه في الإسلام ترك ما لا يعنيه كلَّه من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها، فإنَّ هذا كلَّه لا يعني المسلم إذا كمُل إسلامُه وبلغ إلى درجة الإحسان، وهو أن يعبد الله تعالى كأنَّه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.

الحديث الثالث عشر

عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه خادم رسول الله ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه)) رواه البخاري ومسلم.

١ ـ في هذا الحديث نفيُ كمال الإيمان الواجب عن المسلم حتى يحبَّ لأخيه المسلم ما يُحبُّ لنفسه، وذلك في أمور الدنيا والآخرة، ويدخل في ذلك أن يُعاملَ الناسَ بمثل ما يحبُّ أن يُعاملوه به، فقد جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في حديث طويل: ((فمَن أحبَّ أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنَّة، فلتأته منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحبُّ أن يُؤتَى إليه)).

٢ ـ يدلُّ الحديث على أنَّ المؤمنَ يَسرُّه ما يسرُّ أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريده لنفسه من

الخير، ويكره له ما يكره لنفسه، وهذا كلُّه إنَّما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغلِّ والغِشِّ والحسد، فإنَّ الحسدَ يقتضي أن يكره الحاسدُ أن يفوقَه أحدٌ في خير، أو يساويه فيه؛ لأنَّه يُحبُّ أن يَمتاز على الناس بفضائله، وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلافَ ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلُّهم فيما أعطاه الله من الخير، من غير أن ينقص عليه منه شيء... فإن رأى في أخيه المسلم نقصاً في دينه اجتهد في إصلاحه.

الحديث الرابع عشر

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يحلُّ دمُ امرئ مسلم إلاَّ بإحدى ثلاث: الثيِّب الزاني، والنفسُ بالنفس، والتاركُ لدينه المفارق للجماعة)) رواه البخاري ومسلم.

١ـ قوله: ((الثيِّب الزاني)) الثيِّب هو المُحصَن (من وطئ في نكاح صحيح)، وحكمه الرَّجم كما ثبتت به السنَّة عن رسول الله ﷺ، وكما دلَّت عليه آيةُ الرجم التي نُسخت تلاوتها وبقي حكمها.

٢ـ قوله: ((والنفس بالنفس)) أي: القتل قصاصاً، كما قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿**يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**﴾**.

٣ـ قوله: ((التاركُ لدينه المفارقُ للجماعة)) والمراد به المرتدُّ عن الإسلام؛ لقوله ﷺ: ((مَن بدَّل دينه فاقتلوه)).

٤ـ ذكر الحافظ ابن رجب قتل جماعة غير مَن ذكِر في الحديث، وهم: القتل في اللواط، ومَن أتى ذات محرم، والساحر، ومَن وقع على بهيمة، ومَن ترك الصلاة، وشارب الخمر في المرة الرابعة، والسارق في المرة الخامسة، وقتل الآخِر من الخليفتين المبايَع لهما، ومَن شَهَر السِّلاح، والجاسوس المسلم إذا تجسَّس للكفار على المسلمين.

٥ـ يدل الحديث على عصمةُ دم المسلم إلاَّ إذا أتى بواحدة من هذه الثلاث.

الحديث الخامس عشر

عن أبي هريرة ﵁: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيراً أو ليصمت، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِم جارَه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِم ضيفَه)) رواه البخاري ومسلم.

١ ـ قوله: ((مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيراً أو ليصمت))، هذه كلمةٌ جامعةٌ من جوامع كَلِمه ﷺ، مقتضاها وجوب حفظ اللسان من الكلام إلاَّ في الخير، قال الشافعي رحمه الله تعالى: معنى الحديث إذا أراد أن يتكلَّم فليُفكِّر، فإن ظهر أنَّه لا ضرر عليه تكلَّم، وإن ظهر أنَّ فيه ضرراً وشكَّ فيه أمسك.

٢ـ قوله: ((ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِم جارَه)): وإكرامُه يكون بأن يصل إليه برُّه، وأن تحصل له السلامةُ من شرِّه، ففي الحديث: قال **رسول الله** ﷺ (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)، وقال رسول الله ﷺ (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)، والجيران ثلاثة:

ـ جارٌ مسلم ذو قربى، له ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام.

ـ وجارٌ مسلم ليس بذي قُربى، له حق الإسلام والجوار.

ـ وجار ليس بمسلم ولا ذي قُربى، له حقُّ الجوار فقط.

وأولى الجيران بالإحسان مَن يكون أقربَهم باباً؛ لمشاهدته ما يدخل في بيت جاره، فيتطلَّع إلى إحسانه إليه.

٣ ـ قوله: ((ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِم ضيفَه))، فيه الحثُّ على إكرام الضيف والإحسان إليه.

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة ﵁: أنَّ رجلاً قال للنَّبيِّ ﷺ: أوصِني، قال: ((لا تغضب، فردَّد مراراً قال: لا تغضب)) رواه البخاري.

١ـ **قوله: (لا تغضب)** اجْتنب أسبابَ الغضب ولا تتعرَّض لِمَا يجلبُه، وأمَّا نفس الغضب فلا يتأتَّى النهي عنه؛ لأنَّه أمرٌ طبيعي لا يزول من الجِبلَّة.

وقد جمع ﷺ في قوله: (لا تغضب) خيرَ الدنيا والآخرة؛ لأنَّ الغضبَ يؤول إلى التقاطع ومنع الرِّفق، وربَّما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدِّين.

٢ ـ مدح الله الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّه: ((ليس الشديد بالصُّرعة، إنَّما الشديد الذي يَملك نفسَه عند الغضب)).

٣ـ على المرء إذا غضب أن يكظم غيظه، وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن يجلس أو يضطجع، فإنَّ رسول الله ﷺ قال:

((إذا غضب أحدُكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلاَّ فليضطجع)).

٣ـ دل الحديث على التحذير من أسباب الغضب والآثار المترتِّبة عليه.

الحديث السابع عشر

عن أبي يعلى شدَّاد بن أوس ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ الله كتب الإحسانَ على كلِّ شيء، فإذا قتلتُم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتُم فأحسنوا الذِّبْحة، وليحدَّ أحدُكم شفرَتَه، وليُرح ذبيحتَه)) رواه مسلم.

١ـ قوله: ((إنَّ الله كتب الإحسانَ على كلِّ شيء))، الإحسانُ ضدُّ الإساءة، و(كتب) بمعنى شرع وأوجب، والإحسان عامٌّ للإنسان والحيوان، والمعنى: أحسنوا هَيئة الذَّبح وهيئةَ القتل، وهذا يدلُّ على وجوب الإسراعِ في إزهاق النفوس التي يُباح إزهاقُها على أسهل الوجوه.

٢ـ من لوازم الإحسان تفقد آلة الذَّبح قبل مباشرته؛ لقوله ﷺ: ((وليُحدِّ أحدُكم شفرته، وليُرح ذبيحَتَه)).

الحديث الثامن عشر

عن أبي ذر جُندب بن جُنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: ((اتَّق الله حيثما كنت، وأتْبع السيِّئةَ الحسنةَ تَمحُها، وخالِق الناسَ بخُلُق حسن)) رواه الترمذي، وقال: ((حديث حسن))، وفي بعض النسخ: ((حسن صحيح)).

١ـ هذا الحديث اشتمل بجُملِه الثلاث على ما هو مطلوب من المسلم لربِّه ولنفسه ولغيره.

٢ـ **قوله: ((اتَّق الله حيثما كنت))** التقوى: أن يجعلَ الإنسانُ بينه وبين غضب الله وقاية، بفعل المأمورات وترك المنهيات، وتصديق الأخبار.

وتقوى الله مطلوبةٌ في جميع الأحوال والأماكن والأزمنة، فيتَّقي الله في السرِّ والعلن.

٣ـ **قوله: ((وأتْبع السيِّئة الحسنةَ تَمحُها))** عندما يفعل المرءُ سيِّئةً فإنَّه يتوب منها، والتوبةُ حسنة، وهي تجبُّ ما قبلها من الكبائر والصغائر، ويكون أيضاً بفعل الحسنات، فإنَّها تمحو الصغائر، وأمَّا الكبائر فلا يمحوها إلاَّ التوبة منها.

٤ـ **قوله: ((وخالِق الناسَ بخُلُق حسن))** فإنَّه مطلوب من الإنسان أن يُعامل الناسَ جميعاً معاملة حسنة، فيُعاملهم بمثل ما يحبُّ أن يُعاملوه به؛ لقوله ﷺ: ((لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه))، وقوله ﷺ: ((فمَن أحبَّ أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنَّة، فلتأته منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحبُّ أن يُؤتَى إليه)).

الحديث التاسع عشر

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كنت: خلف النَّبيِّ ﷺ يوماً فقال لي: ((يا غلام! إنِّي أعلِّمك كلمات: احفظ اللهَ يَحفظك، احفظ اللهَ تَجده تجاهك، إذا سألتَ فاسأل اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعِن بالله، واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لَم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لَم يضروك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلامُ وجَفَّت الصُّحف)) رواه الترمذي وقال: ((حديث حسن صحيح))، وفي رواية غير الترمذي: ((احفظ الله تَجده أمامَك، تعرَّف

إلى الله في الرَّخاء يعرفك في الشِّدَّة، واعلم أنَّ ما أخطأك لَم يكن ليصيبَك، وما أصابَك لَم يكن لِيُخطئك، واعلمْ أنَّ النَّصرَ مع الصبر، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسر يُسراً)).

١ـ **قوله: ((احفظ الله يحفظك))**: احفظ حدود الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعبادته وفقاً لِمَا شرع، لا بالأهواء والبدع، يحفظك الله في أمور دينك ودُنياك، والجزاءَ من جنس العمل.

٢ـ **قوله: ((احفظ الله تجده تجاهك))** أي: أمامك، والمعنى: تجده يحوطُك ويرعاك في أمور دينك ودنياك.

٣ـ **قوله: ((إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله))**، هذا مطابقٌ لقوله تعالى: (إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين)، فإنَّ سؤال الله دعاء، والدعاءُ هو العبادة، والمعنى أنَّ المسلمَ يعبد الله وحده، ويسأله قضاء حاجاته، ويستعين به في جميع أموره الدنيوية والأُخروية، ويأخذ بالأسباب المشروعة.

٤ـ **قوله: ((واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك...))** أخبرَ سبحانه أنَّ كلَّ شيء بيده، وأنَّه لا مانع لِمَا أعطى، ولا مُعطي لِمَا منع، وأنَّ كلَّ شيء لا يخرج عن إرادته ومشيئته، وأنَّ العبادَ لا يُمكنهم أن ينفعوه بشيء لم يُقدِّره الله، ولا أن يضرُّوه بشيء لم يُقدِّره الله، وأنَّ كلَّ شيء يقع أو لا يقع سبق به القضاء والقدر.

٥ـ **قوله: ((رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف))**، أي: أنَّ كلَّ كائن قد فُرغ منه وكُتب، ولا بدَّ من وقوعه، والمراد برفع الأقلام وجفاف الصُّحُف الانتهاء من كلِّ شيء مقدَّر بكتابته في اللوح المحفوظ، فلا بدَّ أن يقع وفقاً لِمَا قُدِّر.

٦ـ **قوله: ((تعرَّف إلى الله في الرَّخاء يعرفك في الشدَّة))**، المعنى: أنَّ مَن أخلصَ عملَه لله في حال رخائه وسعته يجدُ الخيرَ من الله، ودَفْعَ الضرِّ عنه في حال شدَّته وكربه

٧ـ **قوله: ((واعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليُخطئك))** المعنى: أنَّ ما قدَّر الله سلامتك منه فإنَّه لا يحصل لك، وما قدَّر حصوله لك فلا بدَّ من وقوعه؛ لأنَّه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

٨ـ **قوله: ((واعلم أنَّ النَّصرَ مع الصبر، وأنَّ الفرَج مع الكرب، وأنَّ مع العُسر يسراً))** في هذه الجُمل

الثلاث بيان وأنَّ الصبرَ ينتجُ عنه النَّصر بإذن الله، وأنَّ الكربَ والشدَّة يكشفها الله بالفرَج الذي يعقبها، وأنَّ العُسر يعقبه اليسر من الله عزَّ وجلَّ.

الحديث العشرون

عن أبي مسعود عُقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ مِمَّا أدرك الناس من كلام النُّبوة الأولى: إذا لَم تستح فاصنع ما شئتَ)) رواه البخاري.

١ـ قوله: (إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت)، له معنيان:

الأول: إذا كان الذي تريد فعله مِمَّا لا يستحيا مِن فعله لاَ من الله ولا من الناس؛ لكونه من أفعال الطاعات أو مِن جميل الأخلاق والآداب المستحسنة، فاصنع منه حينئذ ما شئتَ، فالأمر بقوله: (فاصنع ما شئت)، للإباحة أو للاستحباب أو للوجوب، على حسب الفعل.

الثاني: أنَّ مَن لم يستح صَنعَ ما شاء من المعاصي، فإنَّ المانعَ مِن فعل القبائح هو الحياء، فمَن لم يكن له حياءٌ انهمك في كلِّ فحشاء ومنكر، فالأمر بقوله: (فاصنع ما شئت)، للتهديد، فاعمل ما شئت فإن الله يجازيك عليه، كقوله تعالى: (اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير).

٢ـ الحديث يدلُّ على أنَّ الحياءَ ممدوحٌ، وكما هو في هذه الشريعة فهو في الشرائع السابقة، وأنَّه من الأخلاق الكريمة التي توارثتها النبوات حتى انتهت إلى هذه الأمَّة.

الحديث الواحد والعشرون

عن أبي عَمرو وقيل أبي عَمرة سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله! قُل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك؟ قال: ((قل آمنتُ بالله، ثم استقم)) رواه مسلم.

١ـ أجاب النَّبيُّ ﷺ هذا الصحابيَّ بجواب قليل اللفظ واسع المعنى، وهو من جوامع كلمه ﷺ، وذكر له أمرين:

الأول: النطق بالإيمان بالله، وهو شامل للإيمان به سبحانه وتعالى، وبما جاء عنه في كتابه وسنة رسوله ﷺ، فيدخل في ذلك الأمور الباطنة والأمور الظاهرة؛ لأنَّ الإيمانَ والإسلامَ من الألفاظ التي إذا جُمع بينها في الذِّكر قُسِّم المعنى بينهما، وصار للإيمان الأمورُ الباطنة، وللإسلام الأمورُ الظاهرة، وإذا أُفرد أحدُهما عن الآخر ـ كما هنا ـ شمل الأمورَ الباطنة والظاهرة.

الثاني: الثبات والاستقامة على الحق والهدى.

٣ـ في الحديث: بيان حرص الصحابة على السؤال عن أمور دينهم، وحُسن السؤال من سفيان بن عبد الله الدَّال على كمال عقله ورغبته في الوصية الجامعة.

الحديث الثاني والعشرون

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاريِّ رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ، فقال: ((أرأيتَ إذا صلَّيتُ المكتوبات، وصُمتُ رمضان، وأحللتُ الحلال، وحرَّمتُ الحرامَ، ولَم أزد على ذلك شيئاً، أدخل الجنَّة؟ قال: نعم)) رواه مسلم، ومعنى حرَّمت الحرام: اجتنبته، ومعنى أحللت الحلال: فعلته معتقداً حلَّه.

١ـ الأمور التي سأل عن دخوله الجنَّة إذا فعلها: الصلاة، والصيام، وإحلال الحلال، وتحريم الحرام، **وليس فيها ذكر الزكاة والحج،** فيُحتمل أنَّ الحجَّ لم يُذكر لأنَّه لم يكن قد فُرض، ولم تُذكر الزكاة لاحتمال أن يكون فقيراً ليس عنده مال يُزكِّي، ويحتمل أن تكون الزكاة والحجُّ داخلين تحت إحلال الحلال وتحريم الحرام.

٢ـ أنَّ فعل الواجبات وترك المحرَّمات سبب في دخول الجنَّة، لكن الإتيان بالنوافل مع الفرائض يكمَّل بها الفرائض إذا لم يكن أتَمَّها، وأيضاً فالنوافل هي كالسياج للفرائض، ومَن كان محافظاً عليها كان أشدَّ محافظة على الفرائض، ومَن تساهل بها قد يجرُّه ذلك إلى الإخلال بالفرائض.

الحديث الثالث والعشرون

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((الطُّهورُ شَطْرُ الإيمان، والحمدُ لله تَملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تَملآن أو تَملأُ ما بين السماء والأرض، والصلاةُ نور، والصدقةُ برهان، والصبرُ ضياء، والقرآنُ حجَّةٌ لك أو عليك، كلُّ الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فمُعتقها أو موبقها)) رواه مسلم.

١ـ قوله: (الطُّهور)، له عدة تفسيرات منها:

ـ الأول: ترك الشِّرك والذنوب والمعاصي والتخلِّي عنها.

ـ والثاني: الوضوء للصلاة.

(الشطر) فُسِّر بالنصف، وفسِّر بالجزء. والطُّهور بالضمِّ اسمٌ للفعل وهو التطهُّر، وبالفتح اسمٌ للماء الذي يُتطَّهر به.

٢ـ قوله: ((والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تَملآن أو تَملأ ما بين السماء والأرض))، الميزان: هو ميزان الأعمال، وهو يدلُّ على فضل التحميد والتسبيح، والتسبيح هو تنزيه الله عن كلِّ نقص، والتحميد وصفُه بكلِّ كمال.

٣ـ قوله: ((والصلاة نور)) يشمل النور في القلب، والنور في الوجه، ونور الهداية، والنور يوم القيامة.

٤ـ قوله: ((والصدقة برهان)) أي: دليل على إيمان صاحبها وصِدقه؛ وذلك أنَّ النفوسَ تشحُّ بالمال، فمَن وُقي شحَّ نفسه وتصدَّق كان علامةً على إيمانه، ولأنَّ المنافق قد يُصلي رياء، ولا تسمح نفسه بإخراج الصدقة لبخله وحرصه على المال.

٥ـ قوله: ((والصبر ضياء)) الصبر ثلاثة أنواع:

ـ الأول: صبر على الطاعات ولو شقَّت على النفوس.

ـ الثاني: صبر عن المعاصي ولو مالت إليها النفوس.

ـ الثالث: صبر على أقدار الله المؤلمة بغير جزع ولا تسخُّط. وحصول ذلك من المسلم يدلُّ على قوة إيمانه ونور بصيرته، ولهذا وُصف الصبر بأنَّه ضياء.

٦ـ قوله: ((والقرآنُ حجَّةٌ لك أو عليك))، أي: أنَّ القرآنَ له حالتان:

ـ الأولى: إمَّا حُجَّة للإنسان إذا قام بما هو مطلوب منه في القرآن، من تصديق الأخبار، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي.

ـ الثانية: إمَّا حُجَّة عليه إذا أعرض عنه ولم يقُم بما هو مطلوب منه.

٧ـ **قوله: ((كلُّ الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فمُعتقها أو موبقها))**، معناه: أنَّ الناسَ يغدون ويسعون، فينقسمون إلى قسمين؛

ـ قسم يبيع نفسَه على الله، بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، فيُعتقُها بذلك من النار، ويُبعدها عن إضلال الشيطان وإغوائه،

ـ وقسمٌ يُوبقها بارتكاب الذنوب والمعاصي؛ وذلك بوقوعه في الشهوات المحرَّمة التي توصله إلى النار.

الحديث الرابع والعشرون

عن أبي ذر الغفاريِّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربه عزَّ وجلَّ أنَّه قال: ((يا عبادي! إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّماً، فلا تظالَموا، يا عبادي! كلُّكم ضالٌّ إلاَّ مَن هَديته، فاستهدوني أهْدِكم، يا عبادي! كلُّكم جائعٌ إلاَّ مَن أطعمته، فاستطعموني أُطْعمكم، يا عبادي! كلُّكم عارٍ إلاَّ مَن كَسوته، فاستكسوني أَكْسُكُم، يا عبادي! إنَّكم تُخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً، فاستغفروني أغفرْ لكم، يا عبادي! إنَّكم لن تَبلُغوا ضُرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً، يا عبادي! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجَر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من مُلكي شيئاً، يا عبادي! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيتُ كلَّ واحد مسألتَه، ما نقص ذلك مِمَّا عندي إلاَّ كما ينقص المِخْيَط إذا أُدخل البحر، ياعبادي! إنَّما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثمَّ أوَفِّيكم إيَّاها، فمَن وَجَدَ خيراً فليحمَد الله، ومَن وَجَدَ غيرَ ذلك فلا يَلُومنَّ إلاَّ نفسه)) رواه مسلم.

١ـ **قوله: ((يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّماً، فلا تظالَموا))**، الظلم وضعُ الشيء في غير موضعه، وقد حرَّمه الله على نفسه ومنَعها منه، مع قدرته عليه وعلى كلِّ شيء، فلا يقع منه الظلم أبداً؛ لكمال عدله سبحانه وتعالى.

٢ـ **قوله:(يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلاَّ مَن هَديته، فاستهدوني أهْدِكم)**

الهداية نوعان: هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والسداد.

وفي هذا الحديث الأمر بسؤال الله الهداية، وحاجة العباد إلى الهداية أشدُّ من حاجتهم إلى الطعام والشراب.

٣ـ **قوله: ((يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً، يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما**

نقص ذلك من ملكي شيئاً))، في هاتين الجملتين بيان كمال ملك الله عزَّ وجلَّ، وكمال غناه عن خلقه، وأنَّ تقوى كلّ إنسان إنَّما تكون نافعةً لذلك المتَّقي، وفجورَ كلّ فاجر إنَّما يكون ضررُه عليه.

٤ـ قوله: ((يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجِنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيتُ كلَّ واحد مسألتَه، ما نقص ذلك مِمَّا عندي إلاَّ كما ينقص المِخْيَط إذا أُدخل البحر))، هذا يدلُّ على كمال غنى الله سبحانه وتعالى وافتقار عباده إليه، ومعنى (**ما نقص ذلك مِمَّا عندي إلاَّ كما ينقص المِخْيَط إذا أُدخل البحر**) أنَّه لا يحصل نقصٌ أصلاً؛ لأنَّ ما يعلق بالمخيَط ـ وهو الإبرة ـ من الماء لا يُعتبَر شيئاً، لا في الوزن ولا في رأي العين.

٥ـ قوله ((يا عبادي إنَّما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثمَّ أوَفِّيكم إيَّاها، فمَن وَجَدَ خيراً فليحمَد الله، ومَن وَجَدَ غيرَ ذلك فلا يَلُومنَّ إلاَّ نفسه))، قال سبحانه: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره*ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)، والثواب من فضل الله على العبد، وفعل الخير في الدنيا هو من توفيق الله عزَّ وجلَّ للعبد، فله الفضل أوَّلاً وآخراً، ومَن وَجَدَ أمامه غير الخير فإنَّما أُتي العبد من قبل نفسه ومعصيته لربِّه وجنايته على نفسه، فإذا وجد أمامه العذاب فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه.

الحديث الخامس والعشرون

عن أبي ذر ﷺ أيضاً: أنَّ أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنَّبيِّ ﷺ: ((ذهب أهلُ الدُّثور بالأجور، يُصلُّون كما نصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول أموالهم، قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون؟ إنَّ بكلِّ تسبيحة صدقة، وكلِّ تكبيرة صدقة، وكلِّ تحميدة صدقة، وكلِّ تهليلة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بُضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)) رواه مسلم.

١ـ الصدقات التي أرشد النَّبيُّ ﷺ الفقراء إليها تنقسم إلى قسمين:

ـ قسم يقتصر نفعه عليهم، وهو التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل.

ـ وقسم يتعدَّاهم إلى غيرهم، يكون نفعه لهم ولغيرهم، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجماع.

٢ـ أنَّ ما يأتيه الإنسان من المباحات التي فيها حظٌّ للنفس تكون قربةً بالنيَّة الصالحة، مثل قضاء الإنسان شهوته إذا قصد بذلك إعفاف نفسه وإعفاف أهله وتحصيل الأولاد.

٣ـ في الحديث حرص الصحابة على فعل الأعمال الصالحة والتنافس في الخيرات، وأنَّ الصدقة لا تقتصر على الصدقة بالمال، وإن كانت أصلاً في ذلك، أنَّ مَن عجز عن فعل شيء من الطاعات لعدم قدرته عليه، فإنَّه

يُكثر من الطاعات التي يقدر عليها.

الحديث السادس والعشرون

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس، تَعدلُ بين اثنين صدقة، وتعين الرَّجل في دابَّته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعَه صدقة، والكلمةُ الطيِّبة صدقة، وبكلِّ خطوة تَمشيها إلى الصلاة صدقة، وتُميط الأذى عن الطريق صدقة)) رواه البخاري ومسلم.

١ـ قوله: ((كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس)) السلامى المفاصل، وهي ستون وثلاثمائة، والمعنى: أنَّ كلَّ يوم تطلع فيه الشمس فعلى جميع تلك السلامى صدقة في ذلك اليوم.

٢ـ جاء في حديث أبي ذر: ((ويُجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى))؛ وذلك أنَّ صلاةَ هاتين الركعتين يحصل بهما تحرك المفاصل في هذه العبادة وهي الصلاة، فتكون مجزئة عن الصدقات في هذا اليوم.

٣ـ كلُّ قُربة يأتي بها الإنسانُ سواء كانت قولية أو فعلية فهي صدقة، وما ذكره النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث هو من قبيل التمثيل لا الحصر.

٤ـ في الحديث الحثُّ على الإصلاح بين المتنازعين بالعدل، وحثُّ المسلم على إعانة غيره بما يحتاج إليه، والترغيب في كلِّ كلام طيِّب من ذكر وقراءة وتعليم ودعوة وغير ذلك.

الحديث السابع والعشرون

عن النواس بن سمعان ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((البرُّ حُسن الخُلق، والإثمُ ما حاك في النفس وكرهتَ أن يطَّلع عليه الناس)) رواه مسلم.

وعن وابصة بن معبَد ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقال: ((جئتَ تسأل عن البرِّ والإثم؟ قلت: نعم! قال: استفت قلبَك، البرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأنَّ إليه القلب، والإثمُ ما حاك في النفس وتردَّد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك)) حديث حسن، رويناه في مسندي الإمامَين أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن.

١ـ قوله ((البرُّ حسن الخلق)) البرُّ: كلمةٌ جامعة تشمل الأمور الباطنة التي في القلب والأمور الظاهرة التي تكون على اللسان والجوارح.

وحُسنُ الخُلُق: هو الشامل لكلِّ ما هو خير، ويدلُّ عليه وصف عائشة رضي الله عنها لِخُلق الرسول ﷺ

بأنَّه القرآن، والمعنى أنَّه يتأدَّب بآدابه، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه.

٢- **قوله: ((والإثمُ ما حاك في نفسك...)) الإثمُ:** المعاصي الواضحة والمشتبهة، ومنه ما يكون واضحاً جليًّا، ومنه ما يحوك في الصدر ولا تطمئنُّ إليه النفس، ويكره الإنسانُ أن يطَّلع عليه الناس؛ لأنَّه مِمَّا يُستحيا من فعله، فيخشى صاحبُه ألسنةَ الناس في نيلهم منه.

٣- **قوله:((استفت قلبك))وفي آخره((وإن أفتاك الناس وأفتوك))**معناه: أنَّ ما كان فيه شبهة وريبة ولا يطمئنُّ إليه القلب، ولا دليل عليه من الكتاب والسنة أنَّ السلامةَ في تركه ولو أفتى الناس به، وأمَّا إذا كان في المسألة دليل من الكتاب والسنَّة فالمتعين المصير إليه. واستفتاء القلب لا يكون من أهل الفجور والمعاصي؛ فإنَّ مِن أولئك مَن قد يُجاهر بالمعاصي ولا يستحيي من الله ولا من خلقه، فمثل أولئك يقعون في الحرام البيِّن، وكذا المشتبه.

الحديث الثامن والعشرون

عن أبي نجيح العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة وجلت منها القلوب، وذرَفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنَّها موعظةُ مودِّع فأوصِنا، قال: ((أُوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلَّ، والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد، فإنَّه مَن يَعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة)) رواه أبو داود والترمذي، وقال: ((حديث حسن صحيح)).

١- **قوله: ((وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة وجلت منها القلوب، وذرَفت منها العيون))، الموعظة:** الكلام الذي فيه ترغيب وترهيب، يؤَثِّر على النفوس ويبلغ القلوب، فتوجل من مخافة الله.

٢- **قوله: ((قلنا: يا رسول الله! كأنَّها موعظة مودِّع فأوصنا))** لأنَّ الوصيَّة عند الوداع لها وقع في النفوس، ولعلَّ هذه الموعظة كان فيها ما يشعر بالتوديع، لذا طلبوا هذه الوصيَّة.

٣- **قوله: ((أوصيكم بتقوى الله))**، تقوى الله عزَّ وجلَّ أن يجعل المرء بينه وبين غضب الله وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، وتصديق الأخبار.

٤- **قوله: ((والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد))** أي: في غير معصية الله، ولو كان الأمير عبداً، وقد أجمع العلماء على أنَّ العبدَ ليس أهلاً للخلافة، ويُحمل الحديث على المبالغة في لزوم السمع والطاعة للعبد إذا كان خليفة، وإن كان ذلك لا يقع.

٥- **قوله: ((فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضُّوا عليها بالنَّواجذ))**، هذا طريق

السلامة والنجاة، وذلك بالتمسُّك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنَّة الكاملة، **والنواجذ** هي الأضراس، وذلك مبالغة في شدَّة التمسُّك بها.

٦- قوله: ((وإيَّاكم ومحدثات الأمور))، هي: ما أُحدِث وابتُدع في الدِّين مِمَّا لم يكن له أصل فيه.

٧- قوله: ((فإنَّ كل بدعة ضلالة)) وصف النَّبيُّ ﷺ كلَّ البدع بأنَّها ضلال، فلا يكون شيءٌ من البدع حسناً؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كلُّ بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة.

الحديث التاسع والعشرون

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يُدخلني الجنَّة ويُباعدني عن النار، قال: ((لقد سألتَ عن عظيم ، وإنَّه ليسير على مَن يسرَّه الله تعالى عليه؛ تعبد اللهَ لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألاَ أدلُّك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّة، والصدقةُ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار، وصلاةُ الرجل في جَوف الليل، ثم تلا: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)حتى بلغ (يعملون) ثم قال: ألاَ أخبرك برأس الأمر وعمودِه وذروة سَنَامه؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: رأسُ الأمر الإسلامُ، وعمودُه الصلاة، وذروة سَنَامه الجهاد، ثم قال: ألاَ أخبرك بمِلاكِ ذلك كلِّه؟ قلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسانه، وقال: كُفَّ عليك هذا، قلت: يا نبيَّ الله! وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّم به؟ فقال: ثكِلتك أمُّك! وهل يَكبُّ الناسَ في النَّار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم؟)) رواه الترمذي وقال: ((حديث حسن صحيح)).

١- قوله: ((تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت))، بيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ أهمَّ شيء يُتقرَّب به إلى الله ويحصل به الظفر بالجنَّة والسلامة من النار أداء الفرائض.

٢- قوله: ((ألاَ أدلُّك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّة،...))، لَمَّا بيَّن ﷺ الفرائضَ التي هي سبب في دخول الجنَّة والسلامة من النار، أرشد ﷺ إلى جملة من النوافل التي يحصل للمسلم بها زيادة الإيمان وزيادة الثواب وتكفير الذنوب، وهي الصدقة والصيام وقيام الليل. **ومعنى: ((الصومُ جُنَّة))**، وقاية للعبد في الدنيا والآخرة.

٣- قوله: ((ألاَ أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سَنامه؟...))، المراد بـ**الأمر** الشأن الذي هو أعظم الشؤون، وهو الدِّين الذي بُعث به رسول الله ﷺ، رأسه الإسلام وهو عام، يشمل الصلاة والجهاد وغيرهما، وقد ذكر الصلاة ووصفها بأنَّها عمود الإسلام، شبَّه ذلك بالبناء الذي يقوم على أعمدته، ثم ذكر الجهاد ووصفه بأنَّه ذروة سنام الإسلام؛ لأنَّ في الجهاد قوةَ المسلمين وظهورَ دينهم وعلوَّه على غيره من الأديان.

٤- قوله: ((ألاَ أخبرك بمِلاكِ ذلك كلِّه؟...))يدلُّ على أنَّ كَفَّ اللسان وضبطَه وحَبسَه هو أصلُ الخير كلِّه، وأنَّ مَن مَلَكَ لسانَه فقد ملَكَ أمرَه وأحكمَه وضبطَه، **والمرادُ بحصائد الألسنة** جزاءُ الكلام المحرَّم وعقوباته،

فإنَّ الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيِّئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمَن زرَع خيراً مِن قول أو عمل حصد الكرامةَ، ومَن زرع شرًّا من قول أو عمل حصد غداً النَّدامةَ.

((ثكلتك أمُّك)) أي: فقدتك حتى كانت ثكلى من فقدك، وهذه الجملة لا يُراد بها معناها، وإنَّما يُراد بها الحثُّ والإغراء على فهم ما يُقال.

*****

الحديث الثلاثون

عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ الله تعالى فرض فرائض فلا تضيِّعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها)) حديث حسن، رواه الدارقطني وغيرُه.

١ـ قسم الله الأحكام إلى أربعة أقسام: فرائض، ومحارم، وحدود، ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدِّين كلَّها.

فمَن عمل بهذا الحديث فقد حاز الثواب، وأمن العقاب؛ لأنَّ مَن أدَّى الفرائضَ، واجتنب المحارمَ، ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسامَ الفضل، وأوفى حقوق الدِّين؛ لأنَّ الشرائعَ لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في هذا الحديث.

٢ـ **قوله: ((إنَّ الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها))**، أي: أوجب أشياء وجعل فرضها حتماً لازماً، كالصلاة والزكاة والصيام والحجِّ، فيجب على كلِّ مسلم الإتيان بها كما أمر الله.

٣ـ **قوله: ((وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها))**، أي: شرع أموراً هي واجبة أو مستحبَّة أو مباحة، فلا يتجاوز تلك الحدود إلى غيرها، فيقع في أمر حرام، وذلك كقسمة المواريث فلا يجوز لأحد أن يتعدَّاها وأن يأتي بقسمة تخالفها.

٤ـ **قوله: ((وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها))**، فلا تقعوا فيها، بل يتعيَّن عليكم تركها.

٥ـ **قوله ((وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها))**، أي: سكت عن أشياء فلم يفرضها ولم يوجبها ولم يحرمها، ولا حرج على فاعلها، فلا يُشتغل في البحث عنها والسؤال عنها، كالأسئلة التي فيها تنطُّع وتكلُّف.

الحديث الواحد والثلاثون

عن أبي العباس سَهل بن سَعْد الساعدي ﷺ قال: ((جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! دُلَّني على عمل إذا عملته أحبَّني الله وأحبَّني الناسُ، فقال: ((ازهد في الدنيا يُحبّك الله، وازهد فيما عند الناس يُحبّك الناس)) حديث حسن، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

١ـ **قوله: ((ازهد في الدنيا يُحبّك الله))**، الزهد في الدنيا: ترك الإنسان كلَّ ما يشغله عن الله.

٢ـ **قوله: ((وازهد فيما عند الناس يُحبّك الناس))**، الناسُ حريصون على المال والمتاع في الحياة الدنيا، والغالب عليهم إمساكُ ما في أيديهم وعدم الجود به، ولا يُعجبهم مَن يطمع فيما عندهم أو يتطلَّع إليه، فإذا استغنى الإنسانُ عنهم نال إعجابهم وظفر بمحبَّتهم، وإذا ظفر بمحبَّتهم سلم من شرِّهم.

٣ ـ في الحديث بيان حرص الصحابة على ما يجلب لهم محبَّة الله ومحبَّة الناس، وفيه أيضاً إثبات صفة المحبَّة لله عزَّ وجلَّ.

*****

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي سعيد سَعد بن مالك بن سنان الخدري ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لا ضرر ولا ضِرار)) حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النَّبيِّ ﷺ، فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوِّي بعضُها بعضاً.

١ـ هذا الحديث مشتملٌ على قاعدة من قواعد الشريعة، وهي رفع الضرر والضرار، وفيه النهي عن الضرر والضرار.

والفرق بينهما: أنَّ الضَّررُ قد يحصل من الإنسان بقصد أو بغير قصد، والضرار يكون مع القصد.

وقيل: الضررُ أن يُدخل على غيره ضرراً بما ينتفع هو به، والضرار أن يُدخل على غيره ضرراً بما لا منفعة له به

٢ـ في الحديث بيان كمال الشريعة وحسنها في رفع الضرر والإضرار.

الحديث الثالث والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: ((لو يُعطَى الناسُ بدعواهم، لادَّعى رجالٌ أموالَ قوم ودماءهم، لكن البيِّنة على المدَّعي، واليمين على مَن أنكر)) حديث حسن، رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في الصحيحين.

١ ـ البيِّنة: هي كلُّ ما يبين الحقَّ ويدلُّ عليه، من شهود أو قرائن أو غيرها.

٢ـ **(**المُدَّعي: هو الذي يقدم الدعوى إلى القاضي، أو هو الطالب حقه.

والمُدَّعى عليه: الذي ينكر الدعوى المُقدمة ضدَّه**)**.

٣ـ إذا أتى المُدَّعِي بالبيِّنة قُضي له بها على المُدَّعَى عليه، وإن لم توجد البيِّنة طُلِب من المُدَّعَى عليه اليمين، فإن حلف بَرِئَت ساحتُه، وإن نَكَلَ ـ أي: لم يحلف ـ عن اليمين قُضي عليه بالنُّكول، وأُلزم بما ادَّعاه عليه خصمُه.

٤ـ مَن ادَّعى محبَّةَ الله ورسوله ﷺ فعليه بالبينة التي تبين صدقة وهي: اتِّباع الرسول ﷺ، كما قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)، فهذه الآية الكريمة حاكمةٌ على كلِّ مَن ادَّعى محبَّة الله وليس هو على الطريقة المحمَّدية، فإنَّه كاذب في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمَّدي والدِّين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: (مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).

*****

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((مَن رأى منكم منكراً فليُغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان)) رواه مسلم.

١ـ هذا الحديث فيه بيان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنَّ به صلاح العباد والبلاد، **وهو مشتملٌ على درجات إنكار المنكر**، وأنَّ مَن قدر على التغيير باليد تعيَّن عليه ذلك، فإذا لم يكن من أهل التغيير باليد، انتقل إلى التغيير باللسان، حيث يكون قادراً عليه، وإلاَّ فقد بقي عليه التغيير بالقلب، وهو أضعفُ الإيمان.

٢ـ التغيير باليد يكون من السلطان ونوابه في الولايات العامة، ويكون أيضاً من صاحب البيت في أهل بيته في الولايات الخاصة.

٣ـ تغيير المنكر بالقلب يكون بكراهة المنكر وحصول الأثر على القلب بسبب ذلك.

*****

الحديث الخامس والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضُكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرَّات، بحسب امرئ من الشرِّ أن يَحقرَ أخاه المسلم، كلُّ

المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)) رواه مسلم.

١ـ قوله: ((لا تحاسدوا))، كراهة الحاسد النعمة التي أنعم الله بها على غيره، ويدخل فيه تَمنِّي زوال هذه النعمة عنه، وسواء تَمنَّى انتقالها إليه أو عدم انتقالها.

وأما **الغبطة** الجائزة: أن يتمَنَّى مثلَ ما أنعم الله على غيره دون كراهية حصولها لغيره، ودون تَمنِّي زوالها عنه.

٢ـ قوله: ((ولا تناجشوا))، النَّجْشُ: أن يزيد في ثمن السِّلعة عند المناداة عليها، وهو لا يريد شراءها، بل يريد نفع البائع بزيادة الثمن له، أو الإضرار بالمشتري بزيادة الثمن عليه.

٣ـ قوله: ((ولا تدابروا))، التدابر المقاطعة والتهاجر؛ فلا يحبُّ أن يلقى أخاه، بل يولِّي كلُّ واحد منهم دُبرَه بسبب ما يكون بينهما من تباغض.

٤ـ قوله: ((ولا يبع بعضكم على بيع بعض))، ومعناه: أن يتبايع اثنان سلعة وهما في مدَّة الخيار، فيأتي آخر إلى المشتري فيقول له: اترك هذه السلعة وأنا أبيعك سلعة مثلها أو أحسن منها بثمن أرخص مِمَّا اشتريت به، وهذا العمل يسبِّب التباغض.

٥ـ قوله: ((وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم))، أرشد ﷺ إلى ما هو مطلوب من المسلمين بأن يكونوا إخوةً متحابِّين متآلفين، يرفق بعضهم ببعض، ويُحسن بعضُهم إلى بعض، وأكَّد ذلك بقوله: (المسلم أخو المسلم).

٥ـ قوله: ((لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره))، لا يظلم المسلم أخاه المسلم بأن يعتدي عليه، أو يلحق أيَّ ضرر به، ولا يخذله عند حاجته إلى نصرته وهو قادر على أن ينصره، ولا يحدِّثه بحديث هو كاذب فيه، ولا يحقره بأن يستهين به ويستصغره.

٦ـ قوله: ((التقوى ههنا...))، بيَّن ﷺ قبح احتقار المسلم أخاه، وأنَّ العبرة بما يقوم في القلوب من الإيمان والتقوى، وأنَّه قد يكون قلبُ مَن احتُقِر معموراً بالتقوى، ويكون قلبُ مَن احتقره وتكبَّر عليه بخلاف ذلك، فالميزانَ في التفاضل بين الناس التقوى.

٧ـ قوله: ((بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقرَ أخاه المسلم))، أي: يكفيه من الشرِّ احتقار أخيه لو لم يكن عنده شرٌّ غيره.

٨ـ قوله: ((كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه))، يحرم الاعتداء على النفس بالقتل أو ما دونه، والاعتداء على المال بالسرقة والغصب وغير ذلك، والاعتداء على العِرض بالسبِّ والشتم والغيبة والنميمة وغير ذلك.

الحديث السادس والثلاثون

عن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((مَن نَفَّس عن مؤمن كُربةً مِن كُرَب الدنيا نَفَّس اللهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يوم القيامة، ومَن يَسَّر على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَن سَتَرَ مسلماً ستره اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عَون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه، ومَن سَلَكَ طريقاً يَلتمس فيه علماً سَهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينةُ، وغَشيتهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكَرَهم الله فيمَن عنده، ومَن بَطَّأَ به عملُه لَم يُسرع به نسبُه)) رواه مسلم بهذا اللفظ.

١ـ قوله: ((مَن نَفَّس عن مؤمن كُربةً مِن كُرَب الدنيا نَفَّس اللهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يوم القيامة))، الكُربةُ هي الشدَّة والضيق، وتنفيسها إزالتُها، والجزاء أن ينفِّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، والجزاءُ من جنس العمل.

٢ـ قوله: ((ومَن يَسَّر على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة))، وذلك بإعانته على إزالة عُسرته، فإن كان مَديناً ساعده بإعطائه ما يقضي به دينه، وإن كان الدَّين له أنظره ـ أخَّره ـ إن لم يُبْرئه منه ـ أي: يسامحه ـ، والجزاءُ من جنس العمل.

٣ـ قوله: ((ومَن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة))، والسترُ هو إخفاء العيب وعدم إظهاره، وله حالتان:

ـ فمَن كان معروفاً بالاستقامة وحصل منه الوقوع في المعصية نُوصِحَ وسُتر عليه.

ـ ومَن كان معروفاً بالفساد والإجرام، فإنَّ السترَ عليه قد يهوِّن عليه إجرامه، فيستمر عليه ويتمادى فيه، فالمصلحةُ في مثل هذا عدم الستر عليه؛ ليحصل له العقوبة التي تزجره عن العَوْد إلى إجرامه وعدوانه.

٤ـ قوله: ((والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه))، هذا فيه الحثُّ على إعانة المسلم أخاه المسلم، وأنَّه كلَّما حصل منه العون لإخوانه فإنَّه يحصِّل بذلك عون الله وتسديده.

٥ـ قوله: ((ومَن سلك طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنَّة))، فيه الحثُّ على طلب العلم الشرعيِّ وسلوك الطرق الموصلة إلى تحصيله، سواء كان ذلك بالسفر لطلبه؛ أو بالأخذ بأسباب تحصيله، من اقتناء الكتب المفيدة وقراءتها والاستفادة منها، وملازمة العلماء والأخذ عنهم وغير ذلك، والجزاء على ذلك من الله تسهيل الطريق التي يصل بها طالب العلم إلى الجنَّة.

٦ـ قوله: ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم...))،الجزاء على الاجتماع في المساجد لتلاوة القرآن وتدارسه أربعة أمور، هي: نزول السكينة عليهم والطمأنينة، وأنَّ الرحمةَ تغشاهم، أي تشملهم وتغطِّيهم، وأنَّ الملائكة تحفُّهم أي: تحيط بهم، وأنَّ الله تعالى يذكرهم عند الملائكة.

٧ـ قوله: ((ومَن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه)) مَن أخَّره عملُه عن دخول الجنَّة لم يسرع به نسبه إلى دخول الجنَّة؛ لأنَّ المعتبَر في ذلك الإيمان والتقوى.

*****

الحديث السابع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربِّه تبارك وتعالى قال: ((إنَّ الله كتب الحسنات والسيِّئات، ثم بيَّن ذلك، فمَن هَمَّ بحسنة فلَم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيِّئة فلَم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيِّئة واحدة)) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما بهذه الحروف.

١ـ قوله: ((فمَن هَمَّ بحسنة فلَم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة))، هذا من فضل الله عزَّ وجلَّ وإحسانه إلى عباده، وفيه مضاعفة الجزاء على العمل، دون مضاعفة الجزاء على الهمِّ.

٢ـ قوله: ((وإن همَّ بسيِّئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيِّئة واحدة))، هذا من فضل الله وعدله، وتاركَ السيِّئة على ثلاثة أقسام:

١/ أن يتركها لله، فهذا تُكتب له حسنة على كفِّه عنها لله تعالى، وهذا عمل ونيَّة.

٢/ أن يتركها نسياناً وذهولاً عنها، فهذا لا له ولا عليه؛ لأنَّه لم يَنْوِ خيراً ولا فَعَلَ شرًّا.

٣/ أن يتركها عَجزاً وكسلاً عنها بعد السعي في أسبابها والتلبُّس بما يقرب منها، فهذا بمنزلة فاعلها، فتكتب عليه سيئة.

*****

الحديث الثامن والثلاثون

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله تعالى قال: مَن عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مِمَّا افترضته، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحبَبْتُه كنتُ سمعَه الذي يَسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يَبطشُ بها، ورِجلَه التي يَمشي بها، ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه)) رواه البخاري.

١ـ قوله: ((من عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب)) أولياء الله هم المؤمنون المتَّقون، كما قال تعالى: (إلا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون*الذين ءامنوا وكانوا يتقون).

ومعنى ((آذنتُه بالحرب)) أعلمته أنَّني محاربٌ له، وهو يدلُّ على خطورة معاداة أولياء الله، وأنَّه من الكبائر.

٢ـ قوله: ((وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مِمَّا افترضت عليه)) فيه بيان أنَّ ولاية الله إنَّما تحصل بالتقرُّب إليه بأداء الفرائض، والإتيان مع ذلك بالنوافل، وهو يدلُّ على أنَّ التقرُّبَ بأداء الفرائض أحبُّ إلى الله من النوافل.

٣ـ قوله: ((ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه)) النوافل هي الإتيان بالأعمال الصالحة زيادة على الفرائض، وفعلها مع الاستمرار عليها يجلب محبَّة الله عزَّ وجلَّ، وإذا حصلت له المحبَّة ظفر بتسديد الله في تصرفاته، فلا يسمع إلاَّ ما هو حق، ولا يرى إلاَّ ما هو حق، ولا ينال إلاَّ ما هو حق، ولا يَمشي إلاَّ إلى ما هو حق، وأكرمه الله بإجابة دعوته إذا دعاه، وإعاذته مِمَّا استعاذه منه.

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ الله تجاوز لي عن أمَّتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه)) حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

١ـ أمَّةُ نبيِّنا محمد ﷺ أمَّتان:

ـ أمَّة دعوة، وهم كلُّ إنسيٍّ وجنيٍّ من حين بعثته ﷺ إلى قيام الساعة.

ـ وأمَّة إجابة، هم الذين وفَّقهم الله للدخول في دينه الحنيف وصاروا من المسلمين، والمراد من الأمَّة في هذا الحديث أمَّة الإجابة.

٢ـ **الخطأ:** فعل الشيء من غير قصد، **والنسيان:** أن يكون ذاكراً لشيء فينساه عند الفعل، **والإكراه:** الإلجاء على قول أو فعل بالقوة، والإثم مرفوع في هذه الثلاثة؛ وقد جاءت الأدلة من كتاب الله عزَّ وجلَّ على رفع ذلك، قال الله عزَّ وجلّ: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وقال: (...إلا من أُكْرِه وقلبه مطمئِن بالإيمان)، وهذا فيما بينه وبين الله.

*وأمَّا ما أتلفه لغيره فهو مضمون، كالقتل خطأ تجب فيه الدية مع الكفارة، وإذا أُكره على الزنا أو قَتْل معصوم فلا يجوز له ذلك؛ فلا يستبقي حياته بقتل غيره.

الحديث الأربعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: كن في الدنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل، وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)) رواه البخاري.

١- قوله: ((كن في الدنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل))، الغريب: هو المقيم في غير بلده لقضاء حاجة، يستعدُّ لمغادرة ذلك البلد متى تَمكَّن من ذلك، **وعابر السبيل:** هو المسافر الذي يَمرُّ بالبلاد مروراً دون إقامة بها حتى ينتهي من سفره، **ودار الغربة وعبور السبيل في هذا الحديث هي الدنيا، والسير فيها للآخرة**، وذلك إنَّما يكون بتذكُّر الموت وقصر الأمل والاستعداد فيها للآخرة بالأعمال الصالحة.

٢- قوله: ((وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء))، على المسلم أن يكون مترقِّباً الموت، فهو يستعدُّ له بالعمل الصالح دون كسل أو تأخير، ويعمل الصالحات في نهاره كأنَّه لا يُدرك المساء، وفي ليله كأنَّه لا يدرك الصباح.

٤- قوله: ((وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك))، فعلى المسلم أن يُبادر إلى الأعمال الصالحة، حيث يكون متمكِّنا منها، وذلك في حال صحَّته قبل أن يأتيه ما يعوقه من ذلك كالمرض والكبر، وأن يعمُر حياتَه بالأعمال الصالحة قبل أن يفجأه الموت، فينتقل من دار العمل إلى دار الجزاء.

*****

الحديث الواحد والأربعون

عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يُؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تَبَعاً لِمَا جئتُ به)) حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

١- الهوى: الميل إلى خلاف الحق، كما في قوله عزَّ وجلَّ: (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله).

٢- ومعنى الحديث: أنَّ الشخصَ يجب عليه أن يعرضَ عملَه على الكتاب والسنة، ويخالف هواه ويتبع ما جاء به ﷺ، وهذا نظير قوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)، فليس لأحد مع الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ أمر ولا هوى.

ونفيُ الإيمان في الحديث نفيٌ للكمال الواجب.

الحديث الثاني والأربعون

عن أنس ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنَّك ما دعوتَني ورجوتنِي غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبُك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك، يا ابن آدم! إنَّك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتُك بقُرابها مغفرة)) رواه الترمذي وقال: ((حديث صحيح)).

١ـ هذا الحديث نظير قول الله تعالى: (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)، ففيه بيان سعة فضل الله عزَّ وجلَّ ومغفرة ذنوب عباده.

٢ـ قوله: ((يا ابن آدم! إنَّك ما دعوتَني ورجوتنِي غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي))، دعاء العبد ربّه مغفرة ذنوبه، ورجاؤه ذلك منه دون يأس، مع التوبة من الذنوب يحصل به من الله المغفرة ولو عظُمت الذنوب وكثرت وتكرَّرت.

ومعنى مغفرة الذنوب سترها عن الخلق والتجاوز عنها، فلا يُعاقب عليها.

وأسباب مغفرة الذنوب كثيرة منها: ١/ دعاء الله، ٢/ ورجاءه مغفرةَ الذنوب، ٣/ والاستغفار منها، ٤/ والإخلاص لله، ٥/ والسلامة من الشرك.

٣ـ قوله: ((يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبُك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك))، لو كثرت ذنوب العبد حتى بلغت **عَنان السماء، أي**: بلغت السماء أو ما دون ذلك كالسحاب أو ما يبلغه بصر الناظر إلى فوق، ثم حصل من العبد الاستغفار مع التوبة من جميع الذنوب، فإنَّ الله تعالى يغفر تلك الذنوب ويتجاوز عنها.

وشروط التوبة:

١/الإقلاع من الذنب، ٢/ والندم على ما فات، ٣/ والعزيمة في المستقبل على ألاَّ يعود إليه، ٤/ ومع هذه الثلاثة، فإن كان الذنب في حقِّ الله عزَّ وجلَّ وفيه كفَّارة، أتى بالكفارة، وإن كان في حق للآدميِّين، أدَّى حقوقهم إليهم أو تحلَّلهم منها.

٤ـ قوله: ((يا ابن آدم! إنَّك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتُك بقُرابها مغفرة))، الشركُ بالله عزَّ وجلَّ هو الذنب الذي لا يغفره الله، وكلُّ ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عن صاحبه ولم يعذبه، وإن شاء عذَّبه وأدخله النار، ولكنه لا يُخلَّد فيها خلود الكفار، بل لا بدَّ أن يخرج منها ويدخل الجنَّة.

الحديث الثالث والأربعون

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذَكَر)) خرَّجه البخاري ومسلم.

١- هذا الحديث هو أَوَّلُ الأحاديث الثمانية التي زادها الحافظ ابن رجب رحمه الله، فأكمل العدة خمسين على ما جمعه الإمام النووي.

٢- هذا الحديث أصلٌ في قسمة المواريث، **والمراد بالفرائض:** الفرائض المقدَّرة في كتاب الله، وهي ستة، وهي: الثلثان، والثلث، والسدس، والنصف، والربع، والثمن.

وأصحاب هذه الفروض معروفون مذكورون في كتب الفقه.

٣- في الحديث تقديم من يرث بالفرض فيُعطى ميراثه، وما بقي يكون لِمَن يرث بغير تقدير، ويسمى التعصيب.

٤- قوله: (فلأولى رجل ذكر): (يقدم الابن وابن الابن وإن نزل، ثم الأب ثم الجد وإن علا، ثم الأخ الشقيق ثم الأخ لأب ثم العم الشقيق ثم العم لأب وهكذا).

*****

الحديث الرابع والأربعون

عن عائشة رضي الله عنها، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((الرَّضاعة تحرِّم ما تحرِّم الولادة)) خرَّجه البخاري ومسلم.

١ - جاء في القرآن الكريم تحريم الأمَّهات المرضعات والأخوات من الرضاعة - أي: تحريم الزواج بهن، وكونهن محارم لك - في قوله تعالى: (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) وجاءت السنَّة بهذا الحديث وما في معناه بأنَّ الرَّضاعة تحرِّم ما تحرِّم الولادة، **فكلٌّ ما حرُم بالنَّسب يحرم بالرضاعة مثلُه،** فإذا ارتضع طفلٌ من امرأة صارت أمًّا له من الرضاعة وصار أبوها وأجدادها آباء له من الرضاعة، وأمُّها وجداتها أمهاتٍ له من الرضاعة، وإخوانها أخوالاً له من الرضاعة، وأخواتها خالات له من الرضاعة، وأولادها سواء كانوا من زوج واحد أو أزواج إخوة له من الرضاعة... وهكذا

٢- الرضاع الذي يكون به التحريم له شروط منها:

أ: ما بلغ خمس رضعات فأكثر. ب: أن يكون في الحولين، فإن نقص عن الخمس فإنَّه لا يحصل به التحريم، كما أنَّ رضاع الكبير لا يحصل به التحريم.

الحديث الخامس والأربعون

عن جابر بن عبد الله أنَّه سمع رسول الله ﷺ عام الفتح وهو بمكة يقول: ((إنَّ الله ورسوله حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقيل: يا رسول الله أرأيتَ شحوم الميتة، فإنَّه يُطلى بها السفن، ويُدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ قال: لا! هو حرام، ثم قال رسول الله ﷺ: قاتلَ الله اليهودَ؛ إنَّ الله حرَّم عليهم الشحوم، فأجملوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه)) خرَّجه البخاري ومسلم.

١ـ الأول من هذه المحرَّمات الأربع **الخمر**، وهي أمُّ الخبائث؛ لأنَّ شاربَها يسعى بشربها لإلحاق نفسه بالمجانين، فيحصل نتيجة لذلك أنَّه يقع في كلِّ حرام، وقد يكون من ذلك الاعتداء على المحارم، وهي تجلب كلَّ شرٍّ وتوقع في كلِّ بلاء، ولهذا أُطلق عليها أمُّ الخبائث.

والثانية الميتة، فيحرم أكلها إلاَّ لضرورة إبقاء الحياة حيث لا يجد غيرَها.

والثالث الخنزير، فلا يجوز أكله ولا بيعه، **وكلُّ ما يحرم أكله من الدواب فالميتة والمذكَّى** ـ أي: المذبوح بالطريقة الشرعية ـ **منه سواء.**

والرابع الأصنام، فلا يجوز بيعها ولا اقتناؤها؛ لأنَّها صُنعت لعبادتها، بل يجب تحطيمها وكسرها.

٢ـ قوله: (أرأيتَ شحوم الميتة، فإنَّه يُطلى بها السفن، ويُدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟) أي: فهل يحلُّ بيعُها لِمَا ذُكِرَ من المنافع؛ فإنَّها مقتضية لصحة البيع.

٣ـ قوله: (فقال: لا، هو حرام)، فيه قولان:

الأول: أي حرام البيع والانتفاع بها.

الثاني: حرام بيعها، ويجوز الانتفاع بها.

٤ـ قوله: ((قاتل الله اليهود؛ إنَّ الله حرَّم عليهم الشحوم، فأجملوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه))، هذا من حيل اليهود؛ فإنَّ الله لَمَّا حرَّم عليهم الشحوم أجملوها أي: أذابوها، وباعوها وأكلوا أثمانها، **والله إذا حرَّم شيئاً حرَّم ثمنه،** ولهذا دعا عليهم رسول الله ﷺ.

الحديث السادس والأربعون

عن أبي بُردة عن أبيه أبي موسى الأشعري أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثه إلى اليمن، فسأله عن أشربة تُصنع بها، فقال: ((ما هي؟ قال: البِتْع والمِزْر، فقيل لأبي بردة: وما البتْع؟ قال: نبيذ العسل، والمِزر نبيذ الشعير، فقال: كلُّ مسكر حرام)) خرَّجه البخاري.

١ـ قوله: ((كلُّ مسكر حرام))، أناط النَّبيُّ ﷺ التحريم بالإسكار، فدلَّ على أنَّ ما أسكر من الأشربة

حرام، وما لم يسكر فإنَّه حلال.

وكلُّ ما أسكر فهو حرام، سواء كان شراباً أو طعاماً، وسواء كان سائلاً أو جامداً أو دقيقاً أو ورقاً أو غير ذلك، فإنَّ كلَّ ذلك داخلٌ تحت قوله ﷺ: ((كلُّ مسكر حرام)).

٢- **والخمرُ** ما خامر العقل وغطَّاه، فكلُّ ما كان كذلك داخلٌ تحت قوله ﷺ: ((كلُّ مسكر حرام))، وكلُّ شيء أسكر كثيرُه فقليلُه حرام، وذلك سدًّا للذريعة الموصلة إلى المسكر، وسواء كان ذلك من العنب أو غيرها.

*****

الحديث السابع والأربعون

عن المقدام بن معد يكرب قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبَه، فإن كان لا محالة، فثُلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفَسِه)) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: ((حديث حسن)).

١- **قوله ﷺ: ((ما ملأ آدميٌّ وعاء شرًّا من بطن))**، الوعاء: هو الظرف الذي يُوضَع فيه الشيء، وشرُّ وعاء مُلئ هو البطن؛ لِمَا في ذلك من التُّخمة، والتسبُّب في حصول الأمراض، ولِمَا يورثه من الكسل والفتور والإخلاد إلى الراحة.

٢- **قوله: ((بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبَه))**، يكفي ابن آدم عددٌ من الأكلات التي تحصل بها حياته، **ومعنى صلبَه:** ظهره، وفي ذلك حثٌّ على التقليل من الأكل؛ ليحصلَ للإنسان الخفَّة والنشاط والسلامة من التعرُّض للأمراض التي تنتج عن كثرة الأكل.

٣- **قوله: ((فإن كان لا محالة، فثُلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفَسِه))** إذا لم يكتف الإنسانُ بأكلات يُقمن صلبَه، وكان لا محالة زائداً عن هذا المقدار فليكن مقدار ما يُؤكل ويُشرب في حدود ثلثي البطن؛ ليبقى ثلثٌ يُمكن معه التنفس بسهولة.

الحديث الثامن والأربعون

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((أربَعٌ مَن كنَّ فيه كان منافقاً، وإن كانت خصلةٌ منهنَّ فيه كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدَعها؛ إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصمَ فجر، وإذا عاهد غدر)) خرَّجه البخاري ومسلم.

١- معنى الحديث: أنَّ مَن وُجدت فيه هذه الخصال الأربع فهو موصوفٌ بالنفاق العملي، ومَن كان عنده واحدة منها كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدَع هذه الخصلة.

٢ـ الخصلة الأولى الكذب في الحديث، وذلك أن يحدِّث غيرَه بحديث هو كاذب فيه، والكذب: الإخبار بالشيء على غير حقيقته، وفي ذلك إساءةُ صاحب الحديث إلى نفسه؛ لاتِّصافه بهذا الخُلق الذميم، وإساءةٌ إلى مَن يحدِّثه بإيهامه أنَّه صادق في حديثه معه، وقد قال ﷺ: ((عليكم بالصِّدق؛ فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البر، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وما يزال الرَّجل يصدق ويتحرَّى الصِّدقَ حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإيَّاكم والكذب؛ فإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النار، وما يزال الرَّجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّاباً)).

الخصلةُ الثانية: إخلاف الوعد، وذلك بأن يَعِدَ عِدةً وفي نيَّته ألاَّ يفي بها، أمَّا إذا وعد وهو عازمٌ على الوفاء بالوعد، فطرأ له ما يَمنعه من الوفاء فهو معذور.

الخصلةُ الثالثة: الفجور في الخصومة، والمعنى: أن يكون الإنسانُ عند الخصومة مع غيره يغضب فيتجاوز العدل إلى الظلم، ويرد الحق وينتصر للباطل.

الخصلة الرابعة: الغدر في العهد، والغدرُ حرامٌ في كلِّ عهد بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهَد كافراً، وقد أمر الله تعالى في كتابه بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيئاً، وأمَّا عهود المسلمين فيما بينهم فالوفاء بها أشد، ونقضُها أعظمُ إثماً، **ويدخل في العهود التي يجب الوفاءُ بها ويحرم الغدرُ فيها** جميعُ عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة التي يجب الوفاء بها، **وكذلك** ما يجب الوفاءُ به لله عزَّ وجلَّ مِمَّا يعاهد العبدُ ربَّه عليه من نذر التبرر ونحوه.

الحديث التاسع والأربعون

عن عمر بن الخطاب ؓ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((لو أنَّكم توكَّلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروحُ بطاناً)) رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال الترمذي: ((حسن صحيح)).

١ـ هذا الحديث أصلٌ في التوكُّل على الله عزَّ وجلَّ، **وحقيقةُ التوكل** هو صدقُ اعتماد القلبِ على الله عزَّ وجلَّ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلِّها مع الأخذ بالأسباب المشروعة.

والأخذ بها لا يُنافي التوكلَ، ورسول الله ﷺ سيِّدُ المتوكِّلين قد دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر، وقد أرشد رسول الله ﷺ إلى الجمع بين الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله بقوله ﷺ ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله)).

٢ـ قوله: (تغدو خماصاً)أي: خالية البطون لطلب الرزق، **(وتروح بطاناً)**أي: مُمتلئة البطون، وهذا فيه

الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، وعلى المسلم مع أخذه بالأسباب أن لا يعتمد عليها، بل يعتمد على الله ولا يُهمل الأخذ بالأسباب ثم يزعم أنَّه متوكِّل، فالله قدر الأسباب والمسبَّبات.

*****

الحديث الخمسون

عن عبد الله بن بُسر قال: ((أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله! إنَّ شرائعَ الإسلام قد كثُرت علينا، فبابٌ نتمسَّك به جامع؟ قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عزَّ وجلَّ)) خرَّجه الإمام أحمد بهذا اللفظ، وخرَّجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه بمعناه، وقال الترمذي: ((حسن غريب)).

١ـ سؤال هذا الرجل رسول الله ﷺ مثال من الأمثلة الكثيرة في سؤال أصحاب رسول الله ﷺ عن أمور الدِّين، وكلٌّ ذلك دالٌّ على فضلهم ونبلهم وسبقهم إلى كلِّ خير وحرصهم على كلِّ خير.

٢ـ قوله: (**إنَّ شرائعَ الإسلام قد كثُرت علينا**)أي: النوافل، وأمَّا الفرائض فإنَّها مطلوبة كلُّها، ويجب على المسلم التمسُّكُ بها جميعاً.

٣ـ قوله: (**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عزَّ وجلَّ**)، الذِّكرُ نوعان: عام وخاص،

ـ **فالذِّكرُ العام** يدخل فيه الصلوات وقراءة القرآن وتعلُّم العلم وتعليمه وحمد الله والثناء عليه وتنزيهه وتقديسه عن كلِّ ما لا يليق به.

ـ **والذِّكرُ الخاص** حمد الله والثناء عليه وتسبيحه وتهليله وتكبيره وتحميده، وهو الذي يُقرن بالدعاء، فيُقال: الذِّكر والدعاء، أو الأدعية والأذكار، وهذا العمل سهلٌ على الإنسان، عظيم الأجر عند الله، وثبت في الصحيحين وهو آخر حديث في صحيح البخاري قوله ﷺ: ((كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان وبحمده، سبحان الله العظيم)).

آخر التلخيص، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.